الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

مع خليل الله عليه السلام

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعلنا من خير أمة أخرجت للأنام، تأمر بالمعروف وتنهى عن الآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، عليه من ربنا أفضل الصلوات وأتم السلام، وعلى آله وأصحابه.

عباد الله، مع حركة الحياة الصاخبة، وروتينها القاتل وتعقيداتها الشائكة، وطغيان مادتها الزائفة، تضيع قيم وتنزوي مبادئ وتغيب الروح بإشراقاتها، وعندها ننسى عالم الغيب وحقائقه، فتتزعزع الثوابت ويضعف التوكل ويقل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره. ونحتاج بين الحين والحين لاستدعاء معاني الإيمان واستحضار هذه المعاني الجليلة في النفس.

ونحن اليوم بصدد الحديث عن معانٍ غيبية حاضرة، وعن قيم إيمانية غائبة، بصدد الحديث عن بعض هذه المعاني عبر رحلة موفقة عبر القرون الغابرة والدهور الماضية، نحن اليوم بصدد الحديث عن اختصار الجغرافيا والتاريخ، والحديث عن القيم المتجددة في كل عصر وزمان، عبر شخصية من شخصيات التاريخ الإنساني الفذ على الإطلاق، قدمه علماء الإسلام على جميع الأنبياء، خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه إبراهيم الخليل، إبراهيم عليه السلام الذي أثنى الله عز وجل عليه بثناء بلغ به المكانة السامية والمنزلة

العالية، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، والخلة منزلة من المحبة والقرب من الله عز وجل، تتخلل المحبة كل أجزاء الخليل فلا تدع فيه موضعًا إلا وفيه حب الله عز وجل، اصطفاه الله عز وجل كما قال القرآن بذلك: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وإنك ما فتحت صفحة من كتاب الله هذا الكتاب الخالد والقرآن المجيد وجدت فيه سير الأنبياء تزين القرآن وتجمله، والقرآن يحدث في كل سطر من سطوره عن الأنبياء، القرآن يختصر حياة البشرية كلها بين دفتي هذا الكتاب، يحدث عن جميع الأنبياء: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، والقانت المداوم على طاعة الله تعالى. ولم يرد الله بالحديث عن الأنبياء لم يرد الحديث عن مرحلة وتاريخ، إنما أراد الحديث عن قيم وأخلاق وعن آداب تستمر مع الإنسان وعن حياة وحركة دائمة، ولذلك علينا أن نقف مع حياة الأنبياء مستلهمين الدروس ومستفيدين العبر.

لماذا رفع الله الأنبياء؟ أول شيء رفع الله به الأنبياء صحة وقوة معرفتهم بالله عز وجل، ولذلك أعرف الناس بالله هم الأنبياء ومواقفهم تدل على ذلك، يخالفون الأقوام ويصادمون المجتمعات، ويقفون بصمود عجيب: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾. وقف الأنبياء ضد الظلام وضد الوثنية وضد الشرك وضد عبادة غير الله، وضد الطغيان، وقف الأنبياء: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾، ولذلك الأنبياء أعرف الناس بالله.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾، واختار من البشر رسلًا، ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾، جعله الله أبًا للأنبياء. ولذلك يلجؤون إلى الله ويتعاملون مع الله، وقوة يقينهم بالله عز وجل، وحياة إبراهيم عليه السلام حافلة بذلك.

ثم ثانيًا الأنبياء جمعوا من قوة الرجاء وحسن اللجوء لله عز وجل، وإبراهيم عليه السلام دعاؤه عجيب: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ

تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، وهكذا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾.

شيء عجيب، إبراهيم عليه السلام يصفه قول الله تعالى في كلمات مختصرة: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾، وذلك الأواه هو كثير الدعاء وكثير الضراعة لله عز وجل.

وإن مما يستفاد من سيرة إبراهيم عليه السلام الفائدة الثالثة: قوة المواقف، ورباط الجأش، وصلابته على مبادئه عليه السلام، والدليل على ذلك حواراته مع قومه: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾، ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

الارتباط الملي والوجداني بيننا وبين إبراهيم قائم، فنحن نرتبط معه عبر الملة والتوحيد الممتد: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

إن الارتباط الملي والوجداني قائم، ولقد استجاب الله لدعاء إبراهيم عليه السلام وهو في يوم من الأيام يتردد بين أرض الكلدان في العراق ثم ينتقل إلى مصر، ثم يأتي من مصر إلى بيت المقدس في الشام، ثم من بيت المقدس ينتقل إلى مكة وإلى جبال فاران الشاهقة، يتردد بين هذه البقاع، فإذا بإبراهيم عليه السلام يقول: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾، وهذا هو الحاصل اليوم.

وقال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. إبراهيم عجيب، ليعلم الناس أن الدعاء لله، حق لله، لا ينبغي أن يصرف لغير الله، إلى يومنا هذا في أمتنا الإسلامية من يعتقد أن

الموتى ينفعون وأنهم يملكون ويضرون، وإبراهيم عليه السلام جاء بالتوحيد الخالص لله.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، وقد أراه الله مناسكه، ما وقف إبراهيم موقفًا إلا وحجاج بيت الله يقفونه اليوم على مرور الأزمان، وارتبط البيت بإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

ومن آيات البيت البينات مقام إبراهيم، لما وقف على الصخرة إذا بقدمه تغوص في الصخرة وتلتصق، وهذا هو مقام إبراهيم، وبالمناسبة كان مقام إبراهيم ملتصقًا بالكعبة ملاصقًا بالكعبة لأنه هو الموضع الذي وقف فيه وبنى الكعبة وتركه هكذا. وجاء عمر رضي الله عنه لما رأى أن الناس يصلون في المقام والمقام ملاصق للكعبة، والله يقول: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، أخذ المقام وأزاحه وأبعده إلى المكان الذي هو فيه، ولذلك المقام هو الذي يهرع إليه الناس فيصلون فيه: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾، وأعني بالارتباط الوجداني أننا في صلواتنا نقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، جعل الله له لسان صدق في الآخرين، دائمًا يردد على الألسنة في صلواتنا، حتى إذا أردنا أن نصلي على نبينا صلى الله عليه وسلم نصلي عليه صلاة تسمى بالصلاة الإبراهيمية، ارتباطًا دينيًّا وارتباطًا وجدانيًّا بإبراهيم عليه السلام. ولذلك في صحيح مسلم قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا خير البرية، قال: ذاك إبراهيم.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾، وأمة معناها إمامًا في الخير يقتدى به، وهذا صحيح، كما قال الله عز وجل في آيات الأنبياء لما حدث عن قصة إبراهيم مع قومه وحواره الساخن وحجته القوية: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ إلى نهاية الآيات، لما ناقشهم وقال لهم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، وكان ذلك هو إبراهيم في مقتبل عمره: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾، أي من قبل النبوة من قبل الأربعين.

لما صادم إبراهيم قومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، والحجة التي يواجه بها الدعاة والمصلحون على مر التاريخ: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾، فتى، قال أصحاب التفسير: لما كسر إبراهيم الأصنام كان في السادسة عشرة من عمره، وهذا قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل سن الأربعين، فتى في السادسة عشرة من عمره يواجه أممًا من الخلق.

وكان ذلك في أرض العراق في منطقة تسمى هاران أو حران، في تلك المنطقة واجه إبراهيم عليه السلام قومه: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾، فناقشهم إبراهيم، ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾، نقاشًا قويًّا، حتى تأتي الآيات في الشعراء: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾.

وفي الصافات: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾. قصة إبراهيم شيقة وأخبار الأنبياء ممتعة، وإن كان بعض الناس قد لا يستوعب بعض الأمور العظيمة والقضايا الجليلة التي في ثنايا القصص.

إبراهيم عليه السلام لما ناقش قومه: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾، بعد ذلك ألقوه في النار: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، قوة الثبات، عجيب، فتى وشاب يصادم هؤلاء جميعًا ويقف لوحده، حتى والده: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ عليه السلام، ولذلك استحق أن يبني أفضل بيت لله.

ذهب النبي عليه الصلاة والسلام فوجد إبراهيم متكئًا بظهره إلى البيت المعمور. وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولده إبراهيم، لو أن عندك صاحبًا عزيزًا تسمي عليه، تسمي ولدك على أبيك ليحمل اسمه لاعتنائك بأبيك وافتخارك به، ولو أنك أعجبت بشخصية تسمي عليه.

جمعوا لإبراهيم النار، وأرادوا أن يلقوه في النار، ولم تكن نارًا عادية. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. يا أخي إبراهيم نفسه يقول: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، الميت لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن غيره، والميت من المسلمين يحتاج إلى دعاء إخوانه وترحمهم واستغفارهم.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾، ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾، ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، وأيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.

ولذلك إبراهيم عليه السلام كان قويًّا في دعوته قويًّا في حجته لما جمعوا له النار وألقوه في النار. إبراهيم معلق في الهواء عليه السلام، وسوف يقع في النار، جاءه جبريل عليه السلام، وقال له: ألك حاجة يا إبراهيم؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم. إبراهيم معلق في الهواء أحوج ما يكون وجبريل ممكن أن ينفعه في هذه اللحظة، وكان الله أسرع من جبريل. جبريل عليه السلام ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾، أي ذو قوة، هذا جبريل عليه السلام، برغم ذلك فإن الله خاطب النار بقوله: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

والقرآن عجيب: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، سوف يموت إبراهيم عليه السلام من البرد، ولذلك أعقبها بقوله وسلامًا. ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

وفي القرآن أنه بعد أن خرج من النار: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾، لما خاطب قومه قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾.

يا أخي إبراهيم قوة عجيبة، أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وبعلمه الغيب وبقدرته على الخلق أن يجمعنا في الجنة مع إبراهيم، ولا تستغربوا، فإن لأهل الجنة يومًا في الجنة يزورون فيه إبراهيم عليه السلام، أسأله تعالى أن يجيب دعاءنا أن يسمع مقالنا إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وانتقل إبراهيم عليه السلام من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾، وهي أرض فلسطين، ومر إبراهيم على فلسطين وكانت قاحلة، فمضى إلى مصر وكان في مصر حضارة وملك، وتعرض ملك مصر لسارة زوجة إبراهيم، ثم نصره الله على ملك مصر، وجاء إبراهيم عليه السلام إلى بيت المقدس، وبقي إبراهيم في بيت المقدس، وكانت معه هاجر، حملت هاجر ووضعت إسماعيل، ورحل إبراهيم بهاجر، سبحان الله! هذا التنقل عجيب!

ويستمر إبراهيم عليه السلام ويأتي إلى مكة، ويترك فيها هاجر وإسماعيل، يا سلام، يا أخي إبراهيم عليه السلام نرتبط به ارتباطًا شديدًا، وبعد ذلك أنجب إسحاق: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، ويعقوب هو ابن إسحاق، وإسحاق ولد ولدين: العيص ويعقوب، ويعقوب هو أبو بني إسرائيل. هذه الإنسانية تاريخها عجيب، ولكن تاريخ الإنسانية على التوحيد، وخاصة تاريخ الأنبياء هو على التوحيد، ودين الأنبياء واحد.

ولذلك: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾، ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾، ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. الإسلام كان من الأنبياء.

إبراهيم عليه السلام، آخر فائدة في حياته أن الأنبياء ينتصرون في الآخر: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾، كم هو حليم ربنا؟ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾. إن الطغمة المجرمة في أمريكا وفي إسرائيل لا يمتون إلى إبراهيم عليه السلام بصلة، ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا، والحنيف المائل من الشرك إلى التوحيد ببصيرة، الحنيف الذي يعبد الله بفقه وعلم، ﴿حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وإن أولى الناس بإبراهيم هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه.

وفوق ذلك كله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، متى كان الظلمة ينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام؟ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، البيت لا يحج فيه غيرنا، من يعظمه غيرنا؟ من يطوف به غيرنا؟ أرأيت يهوديًّا ونصرانيًّا طاف بالبيت؟

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتقبل منا وإياكم أجمعين. اللهم يا ربنا ويا مولانا ويا إلهنا ويا خالقنا، اللهم لن نرفع أكف الضراعة في يوم من الأيام إلى غيرك، اللهم انصرنا نصرًا مؤزرًا عاجلًا غير آجل يا رب العالمين، اللهم انصر إخواننا في فلسطين، اللهم انصر إخواننا المستضعفين في فلسطين، اللهم انصر إخواننا في العراق، اللهم انصر المقاومة في العراق، اللهم زلزل الأرض من تحت أقدام الطغاة الجبارين يا رب العالمين.

يا مولانا ويا إلهنا، يا من لا يرد دعاءنا، اللهم أجب دعاءنا، اللهم عليك بالصهاينة المجرمين، وباليهود المغتصبين، اللهم رد المسجد إلينا، اللهم إنا عجزنا وإن البشر عجزوا يا رب العالمين، وأنت لا يعجزك شيء، يا من أنجى من النار الخليل، ومن الذبح إسماعيل، اللهم مزق جموع الكفر المحتلين ديار المسلمين في كل مكان يا رب العالمين.

اللهم من أراد بهذه الأمة سوءًا، ونحن في العشر الأوائل من ذي الحجة وقد دنا يوم الحج الأكبر، يا إلهنا ويا مولانا، من أراد بالإسلام والمسلمين في هذا البلد وسائر بلاد المسلمين سوءًا، اللهم فاجعل تدبيره تدميره، اللهم من نشر الفساد في هذه الدنيا، اللهم شل أركانه، وأيبس لسانه، يا رب العالمين، اللهم احفظ ديارنا وديار المسلمين آمنة مطمئنة سخاءً رخاءً يا رب العالمين.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/مع-خليل-الله-عليه-السلام/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com